

البداية والنهاية

المجئء إليه حتى يأتي إليها المأمون بنفسه فأنشأ المأمون يقول ... بعثتك مشتاقا ففزت بنظرة ... وأغفلتني حتى أسأت بك الطنا ... فناجيت من أهوى وكنت مباعدا ... فياليت شعري عن دنوك ما أغنى ... ورددت طرفا في محاسن وجهها ... ومنتعت باستسماع نغمتها أذنا ... أرى أثرا منه بعينيك بينا ... لقد سرقت عيناك من عينها حسنا

ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعقرال فرح بذلك بشر المريسي وكان بشر هذا شيخ المأمون فأنشأ يقول ... قد قال مأمونا وسيدنا ... قولا له في الكتب تصديق ... إن عليا أعني أبا حسن ... أفضل من قد أقلت النوق ... بعد نبي الهدى وإن لنا ... أعمالنا والقرآن مخلوق

فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة ... يا أيها الناس لا قول ولا عمل ... لمن يقول كلام مخلوق ... ما قال ذاك أبو بكر وعمر ... ولا النبي ولم يذكره صديق ... ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع ... على الرسول وعند المخلوق زنديق ... بشر أراد به إحقاق دينهم ... لأن دينهم والمحق ... يا قوم أصبح عقل من خليفتمكم ... مقيدا وهو في الاغلال موثوق

وقد سأل بشر بن المأمون أن يطلب قائل هذا فيؤدبه على ذلك فقال ويحك لو كان فقيها لأدبته ولكنه شاعر فليست أعرض له ولما تجهز المأمون للغزو في آخر سفرة سافرهما إلى طرسوس استدعى بجارية كان يحبها وقد اشتراها في آخر عمره فضمها إليه فبكت الجارية وقالت قتلتنى يا أمير المؤمنين بسفرك ثم أنشأت تقول ... سأدعوك دعوة المضطر ربا ... يثيب على الدعاء ويستجيب ... لعل المخلوق أن يكفيك حربا ... ويجمعنا كما تهوى القلوب فضمها إليه وأنشأ يقول متمثلا .

... فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها ... وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل ... صبيحة قالت في العتاب قتلتنى ... وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم أمر مسرورا الخادم بالاحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ثم قال نحن كما قال الأخطل ... قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بإطهار